

عدوان الطفل وبرامج العنف في التلفزيون

يؤكد عدد من المهتمين بالسلوك العدواني عند الأطفال أن التلفزيون يؤثر على مفاهيم الطفل واتجاهاته المستقبلية فيميل إلى تصديق أن ضابط الشرطة يعامل المجرمين معاملة سيئة، أو أنه لا مانع من ضرب المجرمين في أثناء التحقيق معهم، أو تصديق أن المجرمين أذكياء، بل وربما يعتقد الصغير أن المدرسين في مدرسته يشبهون المدرس في البرنامج التلفزيوني ، وأن أمه مثل الأم التي رآها على شاشة التلفزيون. وكل ذلك يؤثر على اتجاهات الطفل نحو الآباء والمدرسين والمحيطين به.

وتشير بعض الدراسات إلى أن التلفزيون يؤثر على قيم الطفل فمشاهدته الدائمة لأحداث الجريمة والقسوة قد تחדش بمرور الوقت أحاسيسه وتؤثر في قيمه وتجعله يتقبل السلوك العنيف كجزء من حياته المستقبلية، وقد ينمو الطفل محباً للعنف عندما يكبر ويعتقد أن العنف وسيلة مقبولة في العلاقات الاجتماعية وأكد عدد من الباحثين في دراساتهم عن السلوك العدواني أن الطفل قد ينقل العنف الذي شاهده في التلفزيون إلى ألعابه وعلاقاته الاجتماعية مع غيره من الصغار.

كما أكد بعض الباحثين في دراساتهم عن علاقة التلفزيون بالسلوك

العدواني إلى التأكيد على التأثير السلبي لبعض برامج التليفزيون في سلوك الصغار وخصوصًا البرامج التي تكثر فيها أعمال العنف كبرامج الرسوم المتحركة: فالفتران تنسف القنوط والنار تشتعل في الناس والمنازل تتحطم والقتل والسرقة التي أصبحت جزءًا رئيسيًا من الحدث الكرتوني، كل ذلك وغيره يترك أثرًا سلبيًا على سلوك الصغار واتجاهاتهم.

وهناك عدد من الدراسات التي أجريت حول تأثير التليفزيون على السلوك العدواني لدى الأطفال فمن المعروفة أن هذه الوسيلة الإعلامية الترفيهية تقدم في كثير من برامجها كمية كبيرة من العنف سواء كانت هذه البرامج مقدمة للكبار أو للأطفال. ففي دراسة قام بها "ليبرت وبارون" على مجموعتين من الأطفال تتراوح أعمارهم بين خمس سنوات إلى ثمان سنوات حيث عرض عليهم تليفزيونيا بعض القصص التي تتضمن مشاهد مليئة بالعنف وبعض المشاهد الأخرى الخالية منه، ثم أتيح للأطفال فرصة العدوان على زميل لهم، كشفت نتيجة الدراسة عن أن الأطفال الذين عرضت عليهم برامج مملوءة بالعدوان قضوا فترة أطول في الهجوم على نماذج الأطفال اتخذت كضحية لهم، وذلك أكثر مما حدث في حالة الأطفال الذي عرضت عليهم برامج خالية من العدوان وهذا يعني أن الأطفال على استعداد للاندماج في نوع من التفاعل العدواني مع الآخرين كنتيجة لمشاهدة برامج العنف التليفزيونية.. وزيادة على ذلك يذكر "توماس" أن هناك

خوفا من أن يؤدي استمرار مشاهدة العدوان بالتلفزيون إلى أن يعتقد الأطفال أن الشجار والعنف والصراع أنواع عادية من السلوك ويتقبلونها بصورتها التي يشاهدونها..

وقد ذكر البعض آثار التلفزيون على الأطفال والشباب على النحو التالي:

- يحرم الطفل من التجربة الحياتية الفعلية التي تتطور من خلالها قدراته إذا انشغل بمتابعة التلفزيون فترات طويلة.

- يحرم الطفل من ممارسة اللعب الذي يعتبر ضرورياً للنمو الجسمي والنفسي فضلاً عن حرمانه من المطالعة والحوار مع والديه.

- يعطل التلفزيون خيال الطفل لأنه يستسلم للمناظر والأفكار التي تقدم له دون أن يشارك فيها فيغيب حسه النقدي وقدراته على التفكير.

- يستهلك طاقات الأطفال اائلة وقدراتهم على الحفظ في حفظ أغاني الإعلانات وترديد شعاراتها.

- يشبع التلفزيون في الشراء حب المغامرة كما ينمي المشاغبة والعدوانية ويزرع في نفوسهم التمرد على الكبار والتحرر من القيود الأخلاقية.

- يقوم بإثارة الغرائز البهيمية مبكراً عند الأطفال وإيقاد الدوافع الجنسية قبل النضج الطبيعي مما ينتج أضراراً عقلية ونفسية وجسدية.

- يدعو النشء إلى الخمر والتدخين والإدمان ويلقنهم فنون الغزل والعشق.

- له دور خطير في إفساد اللغة العربية لغة القرآن وتدعيم الألفاظ غير اللائقة.

- تغيير أنماط الحياة والإفراط في السهر، فأفسد الدنيا والدين كما يرسخ في الأذهان أن الراقصات والفنانات ونجوم الكرة أهم من العلماء والشيوخ والدعاة والمبتكرين.

- ويمكن هنا أن نطرح السؤال التالي:

هل يتعلم الأطفال العنف والعدوان من خلال مشاهداتهم لبرامج العنف والعدوان في التلفزيون.. وإلى أي مدى، وتحت أي ظرف؟ إن هناك ثلاث نظريات أساسية في تفسير العنف والعدوان: الأولى: نظرية الغريزة. الثانية: نظرية الدافع أو الإحباط. الثالثة: نظرية التعلم.

وما يهمنا هنا هو النظرية الثالثة التي تؤكد على أن طريقة التربية والتنشئة لها تأثير في ظهور السلوك العدواني بين الأطفال.. وهذا ما ينقلنا إلى التساؤل السابق وهو: هل يتعلم الأطفال العنف والعدوان في برامج التلفزيون؟ وللإجابة عن هذا السؤال توجد نظريتان: الأولى: نظرية التفريغ: وتقوم هذه النظرية على فرضية مؤداها أن

لأفلام الرعب والعنف القدرة على تفريغ العدوان والعنف من المشاهد.. وإذا كان الأمر هكذا فلا توجد مشكلة تستحق البحث.

والثانية: نظرية النمذجة: ومؤدى هذه النظرية أن الإنسان عندما يتعلم عن طريق المشاهدة، فإنه ينتج سلوكه على أساس ما يشاهده.. وأن الإنسان يقلد الإنسان الذى يشبهه أو الأقرب إليه.. إذا كلما ازداد تشابه النموذج مع المشاهد (المقلد) ازدادت نسبة تقمص النموذج ولهذه النظرية أسس تقوم عليها. إذا يستنتج من يقرأ فى تجارب القائلين بها أن روعة مشاهد العنف والعدوان فى البرامج التليفزيونية تعمل على استثارة الشعور العدوانى عند المشاهد. وأن الأطفال يتعلمون من خلال ما يشاهدونه.. وأنهم عندما يواجهون ظرفاً مناسباً فيما بعد، يحاولون تطبيق ما شاهدوه على الشاشة.

إن الدلائل التجريبية والكثير من الدراسات الاجتماعية تشير إلى أن مشاهدة النماذج العدوانية سواء كانت حية أم رمزية ينتج عنها زيادة فى العدوان عند الأطفال.. فإننا نكون مدركين للمخطر المحتمل الذى تلعبه هذه الوسيلة الترفيهية، أى: التليفزيون.

فكثيراً ما تلجأ بعض الأمهات إلى دفع أطفالهن قسراً لمشاهدة التليفزيون للتخلص مما يشرونه من مشكلات، وهذه الحالات تحدث عند العديد من البيوت، بمختلف المستويات العلمية والثقافية لأن الطفل قد يصبح أحياناً مصدر إزعاج للأسرة إلا أن هذه الطريقة

تلتحق الضرر بالأطفال.. لأن الأطفال لا يعرفون كيف يفرقون بين ما هو خيال وما هو حقيقة وواقع..

فالعنف الذي يظهر في بعض الأفلام والمسلسلات التليفزيونية، تكون له نكهة ولذة حقيقية خاصة عند الطفل الذي يتفاعل مع المادة بشكل سريع ويحاول تقليدها فيما بعد الانتهاء من المشاهدة مع أخيه أو في الروضة أو المدرسة أو في المحيط الذي يعيش فيه وهذا دليل على مدى التأثير والضرر الذي يلحق به وتبدأ آثاره في وقت متأخر.

ولم يقف الباحثون المهتمون بالتربية وعلم النفس موقف المتفرج منها.. بل إن الدراسات والبحوث مستمرة للحد من هذه الظاهرة وآخر هذه الدراسات البرنامج الذي نجح الباحثون في الولايات المتحدة الأمريكية بتطبيقه للتقليل من ساعات مشاهدة الأطفال للتليفزيون والفيديو وألعاب الفيديو، بعد أن أصبح بحكم المؤكد وجود علاقة بين برامج التليفزيون وازدياد العنف لدى الأطفال نتيجة بحوث ودراسات متعددة.

- وفي دراسة لتقليل البرامج التليفزيونية العنيفة على الأطفال:

فقد وجد هؤلاء الباحثون أن تأثير البرامج التليفزيونية العنيفة على الأطفال يمكن علاجه وقد تم إجراء الدراسة التي أشرف عليها - "توماس روبنسون" ونشرت في مجلة طب الأطفال والمراهقين في عدد

يناير/ ٢٠٠٠ على مجموعة من الأطفال في الصفين الثالث والرابع في المدارس الابتدائية في "سان جوس" في ولاية "كاليفورنيا".

قام بعض الأشخاص الذين تم تدريبهم خصيصا بتدريس الطلاب المشاركين في البحث (١٨) درسا تتراوح مدتها بين (٢٠ و ٥٠) دقيقة على مدى ستة شهور للتقليل من ساعات جلوسهم أمام التلفزيون وقد أدى ذلك لتقليل ساعات المشاهدة وتقليل عدوانية الأطفال.

ويشجع الباحثون أولياء أمور الطلاب لتقليل ساعات مشاهدة التلفزيون باللجوء إلى وسائل أكثر فعالية، مثل تشغيل ساعات التلفزيون التي تغلق الجهاز بعد فترة من التشغيل "أوتوماتيكيا"، كما لاحظ الباحثون انخفاض المشكلات ومظاهر العدوانية اللفظية والجدسية بين الطلاب في المدرسة والتي كانت تنتج عن خلافات بسيطة.

يستنتج مما تقدم أن المشكلة الأساسية التي تواجه الأطفال في الوطن العربي تتمثل فيما يحاصرون من أفلام وبرامج ومسلسلات أجنبية بعضها مخصص للكبار وبعضها الآخر مخصص للأطفال ولكنه لا يصلح لهم إطلاقاً.

لذا فإن الحلول التي قد تكون مناسبة لنحدد من تأثير هذه الأفلام والمسلسلات على الأطفال تتلخص فيما يأتي:

١- أن تلتفت الجهات التلفزيونية المنتجة فنيًا في الوطن العربي إلى إنتاج الأعمال التلفزيونية الموجهة للأطفال بما يتناسب مع قيمنا ومبادئنا التربوية والإنسانية لملاءمة الفراغ الذي تعانيه الساحة العربية في هذا الميدان، وللموقوف بوجه تلك الأعمال التلفزيونية الأجنبية الغازية التي لا تهدف إلا إلى الربح التجاري البحت.

٢- زيادة الرقابة على عرض الأعمال التلفزيونية والسينمائية الأجنبية التي من شأنها إثارة الرعب والعنف بين الأطفال للحد من تداولها.

٣- قيام أولياء الأمور على تعويد أطفالهم النوم في أوقات مبكرة ليتسنى للتلفزيون عرض مثل تلك الأعمال في أوقات من الليل يكون الأطفال فيها في نوم عميق، إذ إن نسبة كبيرة من الأطفال ينامون في أوقات متأخرة.

٤- تأكيد الرقابة على استيراد ما يتصل بالتلفزيون من ألعاب الفيديو و"السي دي" لما لها من تأثير سلبي في إثارة الرعب بين الأطفال.

آثار القصص البوليسية على العنف لدى المراهق

يتناول هذا العرض شقين رئيسيين هما القصة من جانب، والمراهق من جانب آخر، وحتى يتبين الأثر لا بد من معرفة هذا العرض الخصائص والمميزات لطرفي المعادلة، فالقصة أسلوب معروف منذ القدم عند مختلف الشعوب، بل إن الشعوب تتناقل فيما بينها القصص لما تحملها من مغزى أو حكمة تصلح لتعميمها، ولا أدل من عظم أثر القصة وأهميتها من استخدام القرآن الكريم لها كأسلوب تربوي ودعوى جاءت في وقت مرت بها الدعوة الإسلامية في بدايتها فكان لها الأثر البالغ في تثبيت المؤمنين وكذلك الرقى بهم الملتقى وتوجيه سلوكه.

أما من جهة المراهق، فالمراهقة تعتبر مرحلة حرجة في حياة الإنسان لما يكتنفها من تغيرات هائلة على المستوى الجسدي، الفكري، الانفعالي....، ولعل من أبرز التغيرات النفسية والفكرية ما يعرف بأزمة الذاتية وتحديد الهوية والدور المتوقع للفرد في المستقبل، والحقيقة أن العوامل الثقافية تعتبر أحد أهم العوامل التي تؤثر سلباً أو إيجاباً في هذه الأمة، وتلعب وسائل الإعلام والاتصال بين الشعوب - خاصة في طفرة الاتصال حالياً - دوراً مؤثراً في تشكيل ثقافة المجتمع وبالتالي هوية أفراده واهتماماتهم.

جانب آخر مهم ويحدث في هذه المرحلة.. أعنى مرحلة المراهقة..
ألا وهو تعجل الاستقلال الذاتى من قبل المراهق واعتقاده بأنه بلغ
مبلغ الرجال، وأنه قادر على صياغة حياته بشكل مستقل تمامًا حسب
ما يراه دون اعتبار للمعايير الثقافية السائدة في المجتمع بشكل عام، بل
قد يرى أن إثبات الذات يتطلب الانفلات من الضوابط ورفض
القيم.

بعد هذه اللمحة السريعة لنا أن نتصور مدى تأثير القصة على
المراهق، خاصة إذا كانت ضمن منظومة متنوعة من وسائل الإعلام
كالتلفزيون، الإنترنت، الراديو.

ومما يزيد خطورة مثل هذه الوسائل أنها اختيارية فالمرء يختار ما قرأ
هذه القصة أو شاهد التلفزيون ليس هذا فحسب بل أنه مستمتع
بذلك، فهل سيكون تأثير الكتاب المدرسى على سبيل المثال الذى
يقراه الطالب قسرًا وبغير متعة، مثل تأثير القصة؟ بالطبع لا خاصة
وأن المراهق بطبيعته يميل إلى الشيء الذى يختاره بحرية ودون إلزام أو
التزام.

علاوة على ذلك فإن القصة لا توجه لقارئها أى لوم أو توبيخ
بشكل مباشر كما يواجه المراهق من مجتمعه (الوالدين، المدرسة...)
وهذا مما يزيد من تعلق المراهق بها وبالتالي التأثير بمحتواها.

ولقد وجدت الدراسات أن مشاهد أو أحداث العنف التي يتلقاها الطفل أو المراهق عبر الوسائل الإعلامية المختلفة قد ولدت لديهم الشعور بالقلق الشديد، وفي حالة وجود الخوف أو القلق لدى المراهق أصلاً فإن مثل هذه القصص تُضاعف هذه المشاعر وتزيدها سوءاً، وعلى الجانب الآخر فقد وجد أن الاطلاع على القصص البوليسية وغيرها من القصص التي يمثل العنف جزءاً كبيراً من أحداثها وخصوصاً الاطلاع المتكرر على مثل هذه القصص، أنه يشجع الصغار على الاقتداء بالأشرار والانتقام من رفاقهم لأقل إساءة تصدر عنهم، ولا شك أن الشجار بين الأطفال والمراهقين موجود أصلاً لكن القصص والإعلام بشكل عام جعلته بطرق وأساليب أكثر مكرراً ومكيدة وعنفاً، والمشكلة أنها تعطي انطباعاً أن الحياة أبشع مما يرون في مجتمعهم الذي يعيشون فيه، وذلك يعطى سهولة للعنف زعماً منهم أنها شأن طبيعي ومقبول، والأمر المفرع في بعض القصص أنها تصور الأعمال الإجرامية، بأنها فطنة ودهاء ووسيلة لتحقيق المآرب والخروج من الأزمات والمضائق بأقل تكلفة، وهذه افضالة المثيرة التي أعطيت للمجرم تبرر ما يصدر عنه من سلوك مثل التدخين، شرب الخمر، الكذب.... وترسخ لدى المراهق أن مثل هذه الأخلاق والسلوكيات مطلوبة ليكون عند رفاقة موصوفاً بالذكاء والفطنة، وقد ينتهي الأمر عند بعض المراهقين إلى بلادة الحس والمشاعر تجاه العنف والقتل والدماء، بل تأييد مثل هذا السلوك أحياناً.

وقد يقول قائل: إن بعض القصص تنفر من العنف وتصور البطولة بمحاربة العنف وإقامة العدل ورد المظالم إلى أهلها، لكن تبقى الخطورة قائمة، فهذا البطل والذي يقدم كشخصية مثالية لا يزال في جوانب تفكيره وسلوكه وأخلاقه يمثل بيئة مختلفة، أضف إلى ذلك أن هذه الشخصية لا تخلو من جوانب سلبية لا تصلح للاقتداء، لكن المشكلة أن المراهق في هذه الفترة لديه ما يعرف "بالتمقص" فيأخذ في تقليد كل ما يصدر عن الشخصية التي تقمصها، وهذه الشخصية قد تكون حقيقة أو خيالية كشخصيات الرواية أو القصة ويحاول تقليد هذه الشخصية حتى في طريقة حركته، وكلامه، ولبسه ... وإن كانت مخالفة لمجتمعه، فلا بأس - في نظر المراهق - بالتدخين والكذب أو شرب الخمر ... لأن هذه الأمور قد يمارسها بطل القصة فهي ترمج في ذهن المراهق بأنها من سمات البطولة، إضافة إلى هذا كله فإن ندرة أو غياب القدوة السلوكية الصالحة في مجتمع هذا المراهق يزيد الأمر سوءاً والطين بله.

كذلك فإن بعض المراهقين قد يصل إلى درجة الإدمان على هذه القصص مما يورث لديه الخمول والكسل والاستغراق في أحلام اليقظة وتعطيل الدرة على التفكير الإبداعي لديه.

أخيراً فإن ما تقدم هو بعض من الآثار والتي قد لا تظهر إلا بعد سنين، وقد يكون تأثيرها على بعض النشء أكثر من بعض بحسب ظروف التنشئة والتربية، وعلى كل حال فإن ما ذكر لا يعني بتاتا إغفال أو تعطيل الجانب الإيجابي والفاعل للقصص الهادفة.